مكتبة الشيخ زكريا

سلسلة

كلمات داعية

لقلوب واعية

(7)

حتى يكون
للجهاد معناه
خمس مقـالات

زكريا علي سلمان

آل قضاة

حقوق الطبع محفوظة

يسمح بالطباعة الشخصية وللتوزيع المجاني

و بنشرها على شبكت الإنترنت على مسؤولية ناشرها

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وأحسن الله ختامي وختامكم وفرج عنا وعنكم أجمعين أما بعد:

تجيش بخاطري الذكريات إلى محاضرات كنت القيها على مسمع شيب وشبان، والى ندوات تجمع مختلف الفئات والطعوم والألوان، والى أسئلة تطرح وأجوبة واستفسارات.

تتناول جميع القضايا والمشكلات،والى قصص تروى وحكايات تحكى ...فإذا جاءت المحاضرة الأخرى ضمنتها ما استفدت من خبرات.

وانقطعت تلك الوظيفة – وما أحلى تلك الوظيفة– فاضطررت إلى أن أخاطب بالكتابة ما كنت القيه على المسامع، فحاولت جمع كل خمس محاضرات مترابطة في كتاب واحد ذي حجم مقبول، وكنت أعوض بالمشاركات والاستفسارات عن الأسلوب الممتع في النبرات الحركات ...إذ ما فائدة خطبة ينام المستمعون خلالها أو محاضرة يهرب الناس عنها؟

ذكريات سعيدة جدا وأخرى أليمة وحزينة وباكية وأخرى قد تثير القرف والاشمئزاز:

ذكرى ذلك الزميل الذي ذهب إلى الغرب فعاد معترفا بأنه عرض على شغالة في مطبخ أن ينام معها فوافقت مقابل المال...فضاع بذلك دينه وحياءه وعرضه وخلقه...ثم انه قد أضاف إلى ذلك خيانة عظمى ...إنه عاد ليقول:

يا شيخ زكريا لماذا نلوم بريطانيا حين استعمرتنا ؟ لماذا نلوم القط عندما يأكل الفأر؟!

أهكذا يرسل بأبنائنا إلى الخارج وهم فارغون، وهم الذين أخذوا الرواتب المضاعفة من مال الأمة ليعودوا وقد مسخوا في كل شيء؟!

إن الفأر يا هذا هو أشرف منك، إنه يتمنى من كل قلبه لو كان أسدا تهابه كل وحوش الغابة، ويرتعد كل من يسمع زئيره، ولا تحلم الفئران ولا القطط من أن يقربوا عرينه...أو على الأقل فإنه يتمنى أن لو كان كلبا يهرب القط مذعورا لرؤيته...أو على أقل تقدير أن يكون قطا لا تأكله القطط، أما أن تشبه عدوك بالقط وتدافع عن افتراسه لأمثالك من الفئران القذرة فهذا ما لا تفعله الفئران ...

وأتذكر تلك القصة التي تحكي أن أحد الأشخاص المعدودين في البطاقة الشخصية أنه في عداد المسلمين– قد أفنى جميع ثروته في بلاد الغرب على أخرى، وعندما فنيت ثروته كاملة؛ فإنه فكر مليا في كيفية تحصيل المال لأجلها...فقال لها: ما رأيك أن نشتري الخمر من دكان الجندي – حيث لا جمارك– ونبيعها في السوق العادي ونتمتع بالفارق بين السعرين...

وهنا هبت مذعورة لتمسك بسماعة الهاتف لتطلب الشرطة لمن يساومها على خيانة قومها ووطنها الغالي لأجل المصلحة الشخصية التافهة....فصار يرجوها ويتوسل إليها بأن تتوقف ولو للحظة واحدة لكي تفهم مقصده.....

قصدي باختصار شديد: أني سمعت كثيرا عن حب الغربيات لوطنهن وتفانيهن لخدمته، وعدم التنازل عن حقوقه ومكتسباته...، وأحببت أن أجرب هذا ولو للحظة واحدة...صدقيني. .أقسم بالله والوطن والشرف، وشاربي وكل غال ونفيس. .أن هذا هو قصدي فقط. .

إذاً مومس تدافع عن وطنها ومتمسلم باع كل شيء لأجل مومس. .وشغالة تصطاد فأرا لا يحب أن يدافع عن نفسه؟!

هكذا إذا هي أخلاق "المنتصرون"؟

وإنني لا زلت أذكر حافظ إبراهيم حين سائل تلك اليابانية التي تركت دراستها ومصالحها لتعود إلى الوطن لتدافع عنه – بقدر إمكاناتها–حينما شعرت بالخطر يتهدده...ذلك ما قرأناه في الصفوف الابتدائية:

فأجابتني بصـــوت راعني وأرتني الضبي ليثـــا أغلبا
أنا يابانـــــــــية لا أنثني عن مرادي أو أذوق العطبا
أنا إن لم أحسن الرمي ولم تستطع كفاي تقليب الظبى
أسعف الجرحى .... وأواسي في الوغى من نكبا
هكذا المـــــيكاد قد علمها أن ترى الأوطان أمـــا وأبا

ونحن نقول: قد علمنا الله أن الإسلام وعزته هي أقصى أمانينا.

وأذكر تلك القصة:حينما وقف المسؤول أمام خندق العدو وأشار إليه قائلا للشيخ:

من هم هؤلاء؟!فأجابه الشيخ بحكمة بالغة وحلم واقتدار:إنهم ذنوبنا.

فسأله باستغراب:وأين هم عدونا؟

فأجابه الشيخ بتأسف مشيرا إلى صدره:عدونا هنا !!

إن الشيخ تغاضى عن تفاهة ذلك القائد الذي سأل الشيخ وكأنه هو مصدر البلاء..أو كأنه هو الذي قاد المعركة الفاشلة التي لازلنا نتجرع غصاتها حتى اليوم.....ولم يشأ ذلك العالم الفاضل أن يقول له:إنك أنت وأمثالك هم مصدر بلاء هذه الأمة....ولكنه أشار إلى صدره مذكرا بالحديث الشريف ([1]) الذي رواه ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك))

[1] [1] كتاب الزهد الكبير ج: 2 ص: 157.

أليس هناك فرق كبير جدا وهائل بين أول هذه الأمة وآخرها حينما جاء الصحابة الكرام–رضوان الله عليهم– من أقصى الجزيرة العربية لا يركبون سيارات ولا طائرات وليس عندهم بترول ولا دولارات، وهم قلة في موازين القوى البشرية أمام أعدائهم المتحصنين في بلادهم وقلاعهم عالمون بالمداخل والمخارج، على العكس تماما من حالنا في هذه الأيام؛ ولكن العلة هي ماأخبرنا به المصطفى– صلى الله عليه وسلم–((يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت))([2])

[2] [2] سنن أبي داود ج: 4 ص: 111

الفصل الأول

الجـــــــهاد إرادة

قال تعالى:

﴿ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ﴿١١﴾ ﴾ الرعد: ١١

حينما خرج موسى -على نبينا وعليه السلام- بقومه من مصر ناجين – وقد اغرق الله تعالى فرعون وجنوده– ووصلوا إلى صحراء سيناء، وقف سيدنا موسى عليه السلام يخاطب قومه حاثاً إياهم على الجهاد وقدم لذلك تقديماً طيباً، مذكراً إياهم بالنعم الكثيرة والمؤهلات العظيمة التي يستطيعون من خلالها أن يصبحوا سادة المستقبل([3])

(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنْ الْعَالَمِينَ)

ذكرهم بما يرفع رؤوسهم ويستنهض هممهم ويشد عزائمهم، ممهداً لما سيطلب منهم (يَاقَوْم) بما أنكم قومي فإني لن أغشّكم، وبما أني رسولكم فلن أخونكم، وبما أني قائدكم فلن أخذلكم، وبما أن الله أرسلني فأهلك قوم فرعون، وأنجاكم بي من الغرق، فأنا جدير بأن أقودكم إلى طريق الخير.(ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ) فالفائزون بالرسالة المقدسة لا بد أن يأخذوا الأرض المقدسة، وفي كلمة مقدسة استثارة للهمم وبقوله بعدها: (الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُم) تقوية للقلب، وحذرهم بعدها من الخذلان (وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ) والارتداد على الأدبار فيه خزي وعار.

وهنا فمن المتوقع لكل من يسمع هذا الخطاب الموجز المفيد، الذي فيه كل شفقة وحرص وطيبة قلب، مع ما فيه من تشجيع وتقريع ... أن يرى المخاطبين يهجمون على الكفار هجمة رجل واحد، فيأكلونهم بأسنانهم، ويقتلعونهم من الأرض، ويمزقونهم بأظافرهم، ويمحوهم عن الوجود، أو على اقل تقدير أن يقولوا لا بأس هيا للتطوع وجمع الأموال ... واختيار القادة ... ولكن الصلف والجبن والخور والوقاحة تبدت من شعب لا يريد إلا الذل والخنوع... ولو كانت حياته في صحراء قاحلة لا طعام فيها ولا مأوى فتكلموا مجيبين بالنفي.

ويا ليتهم سكتوا، فلو سكتوا لكان في ذلك اعتذار منهم ولكن أجابوا قائلين:

---

[3] [3] ([3]) الآيات المختارة في هذا الفصل لقصة سيدنا موسى υ مع قومه من سورة المائدة الآيات (20-26).

(يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ) فقتالهم مستحيل، ولذلك فلا حيلة لنا([4]) ولا قوة بنا لقتالهم (وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُون) وهكذا يحبون أن يصبحوا فاتحين بلا جهاد ولا اجتهاد، ويعشقوا الانتصار لكن بلا تضحية ولا فداء، ويصيروا أبطالاً بلا قتال ولا استشهاد، وينسب لهم العبقرية بلا رسم خطط ولا محاولة للتفكير، يا موسى:الأمر محسوم فلا تشجعنا، فالتشجيع عندنا لا يجدي، ولا تحاورنا فالمحاورة معنا لا تفيد.

هنا لم يستسلم النبي القائد لهذا الكلام الذي قاله واحد، وهز الجميع له رؤوسهم، بل عاود الكرة لمحاورتهم رغم انه جواب مستعد لأن يهدم نفسية اكبر قائد، ولكن الأنبياء لهم زيادة في الصبر والأناة وطول البال، فحاول معهم قائلاً وأيده أخوه هارون -على نبينا وعليه السلام- أيضا:

(قَالَ رَجُلَانِ مِنْ الَّذِينَ يَخَافُونَ) يخافون لا من العدو، ولكنهم يخافون من سخط الله على أمه لا تجاهد، وعلى مُنْعَمٍ عليه لا يَشكر، ومن عاقل لا يفكر ([5]) وهذان الرجلان (أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا) ليس بنعمة الكثرة، فإنهما اثنان، ولا بنعمة المال، فهما فقيران، ولكنها نعمة العقل بعد الإيمان، ورسما الخطة فقالا: (ادْخُلُوا عَلَيْهِمْ الْبَابَ) أي في ليلة سكرهم وعربدتهم في عيدهم، فتحققوا بذلك عنصر المفاجأة

أنجاكم من فرعون ... وهو الذي أمر موسى بضرب البحر بالعصا فانفلق، ومررتم بطريق يابسة في منتصف البحر لم تبتل خفافكم، وتوكلوا على الله الذي أمر موسى بإلقاء العصا؛ فتحولت حقيقة إلى حيه تسعى، وتأكل كل حبال وعصيّ السحرة، ألستم بعد كل هذه الآيات قادرين على أن تتوكلوا على الله الذي وعدكم بالنصر؟! ([6]) ألستم بمؤمنين ... ؟!

وهنا وبدلاً من أن يعتذروا ويندموا، أو يخجلوا، أو يسكتوا، فإنهم تمادوا في وقاحتهم فقالوا: (يَا مُوسَى) الله اكبر! كانوا يقولون لفرعون: يا إلهنا، وللجنود الذين يذبحون أطفالهم في أحضان أمهاتهم: يا سادتنا، ولأرباب العمل الذين يسخرونهم للعمل بلا أجر: يا أمرائنا، ولكنهم ينادون على

---

[4] ([4]) عندما أرسل موسى -عليه السلام- عيونه بين الأعداء نظروا إلى ظاهر الأمور فرأوا فيها رجالاً ضخاماً (جَبَّارِينَ) ثم لم يخاطروا بأكثر من ذلك، ولعل بعض الناس – في هذه الحال-يذهب إلى امرأته فيفشي لها الأسرار فتصل الأخبار إلى الناس بسرعة قبل أن يعلم القائد بذلك، والظاهر أن عيون بني إسرائيل في هذه الحالة لم يحفظوا وصية قائدهم بان لا يخبرواُ أحداً؛ مما جعل الناس يجيبون بهذا الجواب المخزي.

[5] ([5]) هدد الله أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) بأقسى عقوبة إن هم تركوا الجهاد. ألا وهي عقوبة الاستبدال، قال تعالى:(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)المائدة (54).

[6] ([6]) انظر إلى كثرة مراوغة بني إسرائيل لما لا يحبون من الجهاد ... وهم هم الذين احتالوا لاصطياد السمك يوم سبتهم وراحتهم وكما قال الشاعر: لو صح منك الهوى أرشدت للحيل.

قائدهم باسمه مجرداً (يَا مُوسَى) بدل أن يقولوا له: يا نبي الله، يا رسول الله، يا حبيب الله، يا كليم الله([7]).

لا، إنهم ينادونه كأنه خادم مستأجر عندهم لا يريدون إطاعته في الانتصار، ولكنهم من قبل أطاعوا السامريّ، وعصوا أمر هارون، وكادوا أن يقتلوه من أجل أن يعبدوا العجل، إنهم قد أدمنوا على الخضوع للمخلوقات.

(قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا) إنه كلام يحمل كل تأكيد إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا، عدا ما فيه من عبارات كلامية، وتنطع، وصلف... مؤكدين جازمين بأنهم لن يحيدوا عن طريق الجبن، ولن ينكصوا عن الخذلان... ولن يتراجعوا عن الوقاحة... وزادوا الطين بلة حين قالوا متهكمين:

(فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا) قالوا: ربك، ولم يقولوا: ربنا، وكأنه إلهه وحده لا إلههم، يخصه هو ولا يخصهم، يعنيه وحده ولا يعنيهم.

(إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) وأين تجلسون في الصحراء مشردين؟ أليس الموت هو أهون من هذا العيش السخيف؟ والانتظار حتى يخرج الكفار من أوطانهم لوحدهم بلا مُخرج، ومن أين لأمة تزدري أنبياءها وعلمائها وتعاند ربها من أن تنتصر، أو تنال عزة، أو رفعة، أو كرامة؟!.

هنا أدرك سيدنا موسى عليه السلام انه لا مجال لتلك الأمة من رحمة أو عزة أو جهاد؛ لأن "الجهاد إرادة"، فما كان منه إلا أن دعا ربه بأن يفارق بينه وبين الأمة الفاسقة الخارجة عن أمر الله وقوانينه وسنن فطرته فقال:

(قَالَ رَبِّ) يا من ربيتني في صغري، وأنقذتني من الموت والظلم والخوف مراراً، يا من أنعمت عليَّ نِعَماً لا أحصيها، يا من بقدرتك جعلت فرعون يرعاني ولا يذبحني، يا من حننت قلب آسية امرأة فرعون عليّ حتى حضنتني، يا من أعدتني إلى أمي كي ترضعني وتأخذ الأجر من فرعون، يا من نجيتني حين أخبر عني الإسرائيلي أني قد قتلت الفرعوني، يا من هديتني حتى أوصلتني إلى بيت شعيب، وزوجتني ابنته، يا من سخرت لي العصا...

---

[7] (لو قارنّا حال المسلمين في هذه الأيام بحال بني إسرائيل في تلك الآونة التي كتب الله فيها الذل والهوان على بني إسرائيل، لوجدنا فيها تشابهاً كبيراً، إذ أن بني إسرائيل كذبوا الأنبياء وفي هذه الأيام المسلمون يكذبون العلماء، كما أن بني إسرائيل قتلوا الأنبياء، والمسلمون في هذه الأيام يقتلون العلماء، في حين نرى الاحترام والتقدير لما يسمى برجال الدين عند غيرنا، ولهذا نعرف كم نحن بعيدون عن الانتصار إلا أن يشاء الله، أقرأ إن شئت كتابي: خمس افتراءات على أعلى المقامات.

الهي وربي وخالقي أرجوك رجاءً واحداً هو: أن تفارق بيني وبين بني إسرائيل، ولو بالموت، فأنا لا ارغب في العيش معهم بعد كل ما فعلوه بي

(قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) فاستجاب الله تعالى دعاءه وانزل العقوبة على بني إسرائيل بقوله تعالى

(قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)

وحين جاء الموت لموسى عليه السلام قال اللهم قربني إلى المسجد الأقصى ولو برمية حجر، وذلك لشدة اشتياقه إلى مساجد الله عامة، والى المسجد الأقصى خاصة، ثم نأى بنفسه إلى جهة بيت المقدس حتى يكون اقرب إلى المسجد الأقصى ولو بخطوة.

وهنا فإن في هذه القصة المؤثرة من العبر والعظات في ذلك الشيء الكثير، فإن الأمة العابثة لا يمكن أن يصلحها قائد جيد، مهما كانت عظمة ذلك القائد، فموسى عليه السلام لم يكن صالحاً فقط، بل هو نبي رسول بل ومن أولي العزم من الرسل؛الذي لم يخلق على وجه الأرض مثله إلا خمسة: نوح، وإبراهيم، وعيسى، ومحمد عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، ولكن الأمة الخائرة القوى، المنحدرة الأخلاق، المهينة، لا تصلحها قيادة مهما تكن فذة...

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا، لماذا حددت هذه المدة أربعين سنة ليعيشوا في التيه؟ ولماذا لم يموتوا ؟

والجواب: إن أربعين سنة تحت ظلال النبوة كافية لأن تجعل من الجيل القادم جيلاً قادراً على الانتصار وتحقيق الأهداف، أما الجيل الماضي فإنه قد مات أو تنحّى عن القيادة والتوجيه جانباً، ولذلك فإن الله لم يهلكهم لأن في أصلابهم أناسا سيكونون على غير صفة الآباء.

بعد التغيــير

ثم يعرض الله تعالى في سورة أخرى لقصة بني إسرائيل من بعد موسى قال تعالى([8])

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى) وهنا يشد هذا التساؤل الانتباه، ويسترعي الاهتمام، هل لا يزالون كما هم ؟! أم ماذا جرى لهم. .؟! ويأتي الجواب: (إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمْ)

إنهم لم يذهبوا إلا للنبي؛ لأنهم تعلموا أن في كلام الله كل الخير ولا خير فيما سواه (ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) لا في سبيل غيره ... إذ ما فائدة فتح البلاد وسقوط الشهداء لكي يقام فيها الفسق كما كان أهل الكفر يفعلون ؟!

[8] ([8]) الآيات مدار البحث في هذا الفصل هي الآيات(246- 252) من سورة البقرة.

وهنا يأتي التردد من نبيهم -عليه السلام- إما خوفاً لما سيؤول إليه الأمر كما حصل في السابق، أو إثارة لحفيظتهم (قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا)

إنه اختبار لمدى صدق نيتهم وهذا لا بد منه:

(قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا) انه هتاف وإصرار على القتال ... بل واستنكار لعدم القتال...

ألا إنه الإيمان الذي يحيي موات القلوب ... إنه ثمرة الإيمان ... وفي سبيل الله ... كان الجهاد ... لا في سبيل غيره

(فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمْ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلا قَلِيلا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) فكثيرون هم الذين يتظاهرون مطالبين بعودة الحقوق إلى أهلها، مستنكرين وشاجبين، متجمعين ومتجمهرين، يصيحون بأعلى أصواتهم ملوحين بأيديهم، لا يَدَعُونَ وسيلة للتعبير عن الشجب والاستنكار إلا ويسلكونها، ولكنهم في المساء يعودون إلى بيوتهم متمنين أن يكون أقاربهم وأرحامهم قد شاهدوا قوة تعبيرهم وشدة احتجاجهم ([9])ولكن هذا ليس إلا بداية الطريق !(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا)

وهذا يكفي لأن ينصاع الجميع للأمر، ويبدءوا بالاستعداد للجهاد، مقدمين أموالهم وأنفسهم في سبيل الله... ولكن الجبن في بعض الأحيان يستتر بثوب الاعتراض على القائد، أو على الخطة، أو على طريقة الإعداد .... الخ فقالوا معترضين:

(أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنْ الْمَالِ) انه مقياس الجاهلية في اختيار القيادة، ولكن مقاييس الإيمان يذكرها النبي ويذكِّر بها (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ)

إن أول مقياس يجب أن يقاس به القائد هو أن الله تعالى قد رضيه واصطفاه والأمر الثاني هو أن الله أعطاه قوة، وفضله بزيادة في العلم والجسم؛ فالقوة العقلية لا غنى عنها للقائد، وكذلك القوة البدنية؛ لأن الصراع صراع إيمان وحكمة وجلاد (وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) فلا اعتراض على حكمة.

ولكي لا يبقى في النفس أدنى ريبة، ولا للشيطان أي مدخل، ولا للمنافقين أي مجال للتشكيك والدس، لم يُكتف بأن ذلك النبي صادق وأمين كبقية الأنبياء، ولكن الله سبحانه أيده بمعجزة جديدة:

---

[9] ([9]) يعود بعض المتظاهرين إلى بيوتهم فيطلبوا الطعام والشراب والفراش، ثم يطلبوا " الريموت كنترول" ليحركوا التلفاز عن بُعد، ولكي يروا هل عادت فلسطين من جراء المظاهرة التي خرجوا فيها أم لا... !؟

(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ)

إذ أصبح الأولاد يتبركون بهذه البقية بعدما كان الآباء لا يحترمون شخصه ... وهذه المعجزة لا آتيكم بها أنا وإنما تحمله الملائكة في السماء تصديقاً لي... وتتويجاً لطالوت وإيذانا بسير الجيش إلى المعركة (تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ) هكذا في الهواء وتنزل به إلى الأرض أمامهم:(إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِين)

وسار الجيش تاركاً الأهل والولد والدعة والخمول يحدوه الأمل بالنصر... لكن النفس تجيش بالحنين والشيطان يخوف من اللقاء، والأرجل تتعب من المسير، والشمس تسطع في رابعة النهار، والعطش يأخذ بحلوق السائرين، فكان لا بد من الفصل بين المؤمنين الصادقين، وبين المتخاذلين الذين لا يزيد حضورهم في الجيش إلا خبالاً، فكان الامتحان:

(فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي)، ولم يقل إنه كافر أو فاسق أو مبتدع أو ضال؛ لأن الوقت ليس وقت نزاع. ومتى كان النزاع طريقاً لحل الأمور؟

إن أمامكم نهر الشهوات والملذات، نهر تحبه النفس وترتاح إليه، ولكن فيه سماً زعافاً أشد عليهم من كيد عدوهم، فأراد القائد أن يصرفهم عنه، مع مراعاة ما في بعض النفوس من حاجات، لا بد للقائد أن يعرفها، ويداريها ولذلك استثنى قائلا: (إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ)

وصدقت فراسة القائد بجنده، فإن أغلبهم كان سائرا إلى المعركة؛ إما خوفاً أو طمعاً أو رياءً أو إتباعا للآخرين، لذا فإنهم هجموا على النهر تاركين أوامر قائدهم الذي أرسله الله منقذاً لهم من مهالك الصحراء، وذل الاستعباد... علماً بأنه المزود بتوجيه النبي ومعجزة الله، فصار بعضهم يشرب والآخر يستحم وبعضهم يمازح رفيقه بالماء... والآخر يغسل ثيابه ..الخ ؛ بحيث غرقوا في مراتع نهر الشهوات تسوقهم النفوس ويغويهم الشيطان حتى توارى جيش الإيمان والجد والاجتهاد عن عيونهم.

ووقف جيش الفئة الصابرة المؤمنة بعدد أهل بدر مقابل الكثرة الكاثرة، وهنا، جاءت فتنة الكثرة بعدما نجوا من فتنة الشهوة التي وقع فيها غير صادقي الإيمان:(فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ)

ولعل الذي قال هذا هم الذين شربوا غرفة يد واحدة من نهر الشهوات فأجابهم الآخرون بقولهم الجازم المتذكر لمقياس الإيمان قائلين: (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)

إن الاعتقاد بلقاء الله يقوي القلب فما هي إلا إحدى الحسنين:

وهنا حانت ساعة اللقاء وجهاً لوجه، ولا ينفع هنا إلا القوة؛ فكانت قوة الدعاء والاستغاثة بعد أن نجاهم المولى تعالى من الاعتماد على القوة المادية التي لم تكن موجودة؛ فلا بد من الاستعانة بخالق القوى، القدير على كل شيء، انه الدعاء الذي يجب أن يحرص عليه المؤمن القوي أكثر مما يحرص عليه المؤمن في حالة الضعف([10])، وهذا ما حصل فعلاً: (وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)

لم ينسوا خالقهم فدعوه، ولم ينسوا الذي قاتلوا من أجله، انه قتال مؤمن بربه ضد كافر جاحد.

وطالما أن المعركة هي معركة إيمان خالص مع كفر جاحد، فلا بد من نزول النصر بإذن الله تعالى (فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّه)، ورغم أن الأمر لا يعدو أمراً ممن أمْره بين الكاف والنون إلا أن الله تعالى قد جعل لذلك سبباً (وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ)

إنه شاب صغير... وقف ينظر إلى جالوت الكافر يهزأ بالمؤمنين طالباً المبارزة، والمؤمنون يحجمون عن ذلك خوفاً من الموت بلا طائل فتنهار معنويات البقية، فقال داود الذي كان يرعى الغنم: أنا أنازلك أيها الكافر:

وهمَّ الكافر أن يقتل داود غيظاً وحنقاً؛ إذ كيف يجرؤ راعٍ لا يملك من السلاح شيئا، أن يتكلم بكلمة واحدة مع قائد جيش عرمرم، تهابه كل الفرسان، لم يبق أمام انتصاره شيء في نظره...

وهنا تقدم لضرب داود بسيفه، فما كان من داود إلا أن تناول حجراً صغيراً فوضعه في المقلاع، وقذف به نحو العنيد جالوت، فأصابه في رأسه فخر صريعاً لتوه ...

فلما رآه جنوده يتدحرج بدمه دب الرعب في قلوبهم، وما كان من هذا الجيش العرمرم إلا أن ولى الأدبار:(فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ)

ولكن هذا الشاب اليافع الذي أقدم على هذا العمل الجريء قد أعطاه الله ما لم يكن بحسبان البشر، لقد أعطاه أجر جهاده في الدنيا الملك، والحكمة، والعلم، عدا ما ادخره له في الآخرة.

(وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ).

وقبل أن تكتمل الفرحة بالنصر في تلك القصة يُذَكِّرُ الله عز وجل عباده المؤمنين بأهم موعظة وأعظم عبرة من ذلك بقوله:(وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتْ الْأَرْضُ)

---

[10] [10] نعم لابد من إعداد القوة لقوله تعالى (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ) لأنفال:60) ولكن التوكل فقط يكون على الخالق لكل القوى ألا وهو الله جل جلاله.

إذ لولا وقوف المؤمنين في وجوه الطاغين والباغين لعم الفساد في الأرض، وبما أن الله لا يحب المفسدين؛ لذلك كانت عقوبة الاستبدال:(وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) ببقاء الجهاد والصراع بين الحق والباطل إلى يوم القيامة.

(تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ) إنها آيات، لا قصص تسلية (نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ) فالقيادة الفذة أن لم تجد شعباً واعياً وجيشاً شجاعاً فلا يمكن أن يتحقق النصر مصداقاً لقوله تعالى:

(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ولم يقل حتى يغيروا لباسهم أو طعامهم أو مركوبهم وإنما التغيير يكون بأنفس القوم أجمعين؛ فالبقية تأتي تبعا؛ لأن بعض الناس قد يقول: ها أنا غيرت ما بنفسي، فلماذا لا يتغير الكون كله...؟ لا، لا بد من تغيير جميع نفوس القوم....)

وأنا الآن أرحب بأسئلتكم ومشاركاتكم.

مشاركة (1): لو ظهر عمر الآن ماذا يفعل ؟!

لنتصور أن عمر –رضي الله تعالى عنه– ظهر علينا الآن فرحبنا به وقبلنا يديه ورجليه، وسألناه عن كل ما يخطر ببالنا، ثم سألناه عن الوجهة التي يريد أن يذهب إليها، فأخبرنا انه ذاهب إلى القدس، وإذا بكل واحد منا ينظر في وجه الآخر، وعلت على وجوهنا علامات الحيرة والخجل؛ من تضييعنا للأوقات، والأموال، والقدرات فيما لا طائل تحته؛ من لهو ولعب وخلافات ... ثم اعترت قلوبنا الأسى والألم على ما فرطنا في جنب الله من تصارع وتحاقد وتحاسد، وندمنا على قلة قيام الليل، وندرة صيام النهار.

ثم لما رأى سيدنا عمر – رضي الله عنه – ارتباكنا وتنكيس رؤوسنا وحيرتنا وترددنا سألنا: ما بالكم؟ فلم يجد منا من يجيب، ثم عرف بطريقة أو بأخرى أن القدس قد ذهبت. فقال لنا معزياً ومهوناً ومسامحاً لكل ما بدر منا ومن آبائنا وأجدادنا من تقصير، ثم وقف مخاطباً لنا:

هيا يا أخوة الإسلام:

فالذي نصرنا في الماضي على أعدائنا رغم قلة عددنا وعدتنا، ورغم كثرة عدونا واستمكانهم في الأرض، وتحصنهم بالحصون، فإن الله تعالى قادر على أن ينصرنا الآن، فهيا بنا نقوم قَوْمَةَ رجل واحد ونذهب للجهاد في سبيل الله ...!!

في هذه اللحظة كل واحد يجب أن يجيب في قلبه، هل سيذهب حقاً إلى المعركة ؟ أم أن الأول سيقول: عندي أولاد أرعاهم، والثاني يقول: عندي وظيفة أخاف أن أُحرم منها، والثالث يقول: غداً عندي موعد لي ولقريبي عند الطبيب، والرابع ... و...الخ، بحيث نصل بالتالي إلى قول بني إسرائيل لقائدهم (اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ)

أما الصحابة (رضي الله تعالى عنهم) عندما خاطبهم النبي (صلى الله عليه وسلم) في بدر قائلاً: أشيروا عليّ أيها الناس قال قائلهم: " يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا لا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى (اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ) ، وَلَكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ " (مسند أحمد رقم(18073).

فقد فهم الصحابة هذا الدرس الذي قصه الله تعالى عليهم، لقد نزلت آيات تحكي قصة موسى وقومه فوعى الصحابة المغزى منها لأن اللبيب تكفيه الإشارة إذ يقول الشاعر:

أن اللبيـــب لبالإشارة يفهـــم وسـواه يدعى بالنداء العالي
وسواهما بالزجر من قبل العصى ثم العصى هي رابع الأحوال

س1: ما معنى قوله تعالى (وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)

ج1: يجب أن ننتبه إلى الحركات في القرآن والى ربط الأمور ببعضها فلقد قال الله تعالى (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)

أولاً:- فالذكر يكون لما مضى؛ فالله سبحانه أمرهم أن يتذكروا الماضي الذي كانوا به فاضلين، والأيام التي كانوا فيها منعمين، فإذا غيرتم غير الله ما بكم.

ثانياً: يقول الله تعالى: وأني: ولم يقل وإني لأن إن لا تؤول بمصدر بينما أن تؤول هي وما بعدها بمصدر فيكون المعنى: اذكروا نعمتي وتفضيلي.

ثالثاً: ما هو سبب التفضيل؟ إن الله تعالى قد فضل بني إسرائيل بالذي فضل به نبيهم موسى عليه السلام (قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي) ولم يفضله بطول ولا بعرض والنتيجة هي (فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنْ الشَّاكِرِينَ) 144 الأعراف.

والشكر لا يكون باللسان فقط... ذلك لأن شكر اللسان الثناء، وشكر اليدين العطاء، وشكر العينين الغض عن محارم الله، وشكر الرجلين المشي إلى طاعة الله، وشكر العقل التفكر في مخلوقات الله، وهكذا فالشكر على الدين يكون بإتباع أوامر الله، ولذلك فإن بني إسرائيل حينما قتلوا أنبياء الله وحرفوا كلام الله، طردهم الله تعالى من رحمته قال تعالى عنهم:

(ضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلا بِحَبْلٍ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنْ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) سورة آل عمران آية (112).

وما مثلهم إلا كمثل ملك أعطى وزارته لشخص لصدقه وأمانته التي ظهرت منه، ثم بدأ بالكذب والخيانة والتفريط، فلا شك بأن هذا الملك سيطرده لا لكونه قد تغير اسمه، ولكن لكونه قد تغيرت

نفسيته؛ وهكذا فقد طردت بنوا إسرائيل عن القيادة وأعطيت لأمة محمد (صلى الله عليه وسلم) بقوله تعالى:

(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) آل عمران آية (110). وسادت أمة الإسلام وفتحت أمامها القلوب والعقول قبل الأمصار والبلدان؛ لأنهم كانوا مطبقين للشروط ألا وهي: تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ، وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ،

فما حال هذه الأمور الثلاثة في هذه الأيام ؟!والجواب اتركه لكم.

مشاركة (2): نحن الآن لأننا مسلمون نفرح بانتصار بني إسرائيل في الماضي على العرب؛ لأنهم كانوا مسلمين والعرب إذ ذاك كانوا كافرين، وحين تبدلت الأحوال فأصبح اليهود كفاراً، قتلة الأنبياء، محرفين لكلام الله، صرنا نفرح بانتصار العرب عليهم؛ لأن العرب أصبحوا مسلمين والحمد لله.

فالقدس ليست للعرب ولا لليهود وإنما هي لله، بل إن الأرض كلها لله يعطيها لمن يشاء من عباده، قال تعالى: (إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) سورة الأعراف آية 128)، فلم يقل العاقبة للمسلمين، ولكن للمتقين أي لمن بلغوا الحد الأعلى في مراتب الإيمان.

أما خروج العرب من القدس في هذه الأيام، فهو يسير حسب سنن الله تعالى في الكون " إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني "

وروي ابن ماجه بسنده عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: " أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ، لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمِ الَّذِينَ مَضَوْا وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا **سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ** وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ " (ابن ماجه، كتاب الفتن رقم(4009)

لذلك فنحن مدعوون إلى العودة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأيمان بالله تعالى؛ لكي نعود إلى مركز الصدارة، ومثالاً على هذا الذي أقول:

فإن ابني إذا عصاني وتمادى في غيه، فإنني امسك له العصا، ولكن العصا ليست أغلى عندي من ولدي ... والدليل على ذلك أنه حينما يعود ابني لطاعتي فإني أحضنه بين ذراعي بعدما أكون قد كسرت العصا وألقيتها في النار،

وكذلك فإن العصيان هو سبب تسليط الله تعالى للعدو على المسلمين لكي يرجعوا إلى دينهم، كمثل التطعيم؛ إذ يحقن المرء بذات الجرثومة المسببة للمرض بعد؛ لكي يحث الجسم على إنتاج المضادات اللازمة لمقاومة هذه الجرثومة.

مشاركة (3) قال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (110آل عمران)، الخطاب للجميع وليس المشايخ فقط، فكلنا يجب أن نأمر بالمعروف وكلنا يجب أن ننهي عن المنكر، فكما أنه لا يدخل الجنة إلا من يؤمن بالله، لقوله تعالى: (وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)،ولم يقل: ويؤمن المشايخ بالله، كذلك فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو واجبنا جميعاً.

وانظر إلى السبب في حجب النصر عن المسلمين في هذا الحديث الذي رواه ابن ماجه بسنده عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا فَلا يُسْتَجَابَ لَكُمْ (ابن ماجة الفتن رقم(3994).وفي رواية أخرى في صحيح ابن حبان أنه (صلى الله عليه وسلم) قال: إن الله يقول لكم: مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا فَلا يُسْتَجَابَ لَكُمْ وتسألوني فلا أعطيكم وتستنصروني فلا أنصركم ".

مشاركة (4) على المسلمين أن يسارعوا بالعودة إلى الدين قبل أن تحل بهم عقوبة الاستبدال، فقوم موسى عندما لم يرجعوا إلى دينهم استبدل الله بهم قوماً آخرين، والدليل على قولي هو كلام الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (سورة المائدة آية (54).

فعقوبة الاستبدال هي أشد عقوبة تنزل على الإنسان إذ انه أصبح ليس أهلاً للمسؤولية، ولا جدير بالتكليف، وليس أهلاً لان يوجه إليه خطاب أو يطلب منه شيء، وحسابه على إعراضه لهذه الدرجة غداً يوم القيامة، وشكراً.

شكراً للأخ الكريم: وتصويباً أقول يجب أن نعود نحن إلى الله أما أمة الإسلام فهي باقية، والخوف علينا نحن لا على الإسلام واضرب لذلك عدة أمثلة.

1. حينما تكبّر صناديد أهل مكة عن قبول الإسلام لم يمت الإسلام، ولكن الله تعالى سخّر أهل المدينة فنالوا شرف النصرة والإيواء.

2. وحينما ارتد بعض أهل اليمن عن الإسلام فإن الله تعالى انزل في قلوب يمنين آخرين فاسلموا ثم قاتلوا المرتدين اليمنيين وغيرهم.

3. وحين جاء التتار فاجتاحوا ديار الإسلام بعد غياب عهود ذهبية ثم ارتدوا إلى ديارهم خائبين، يسّر الله لهم علماء صابرين مجاهدين دعاة فأرشدوهم إلى الإسلام فأسلموا، ثم أصبحوا بعدها حماة للإسلام !

وهكذا على مر الدهور ...

وأعود لكي أقول: إننا إذا لم نعد نحن إلى العلم والعمل والدعوة والدعاء فلا خوف على الإسلام؛ لأن الله سبحانه قادر على أن يهدي الكفار فيحملوا راية الإسلام من جديد ويدافعوا عنها ... ولكن نسأل الله تعالى أن لا يوقع علينا عقوبة الاستبدال بل نسأله تعالى بلطفه ومنه وكرمه أن يجعلنا سبباً لهداية الآخرين من خلال أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر وإيماناً بالله عز وجل.

مشاركة (6): ليس معنى أن نصبح آمرين ناهين بأن يصبح كل واحد منا يصدر الفتاوى ويقوم بالاجتهاد ويأتي بمذهب جديد، ولكن كل واحد منا حين يتعلم مسألة، فإنه يقوم بتعليمها للآخرين. بشرط أن تكون المسألة مهمة وليست مسألة خلافية ... أما التمسك بالخلافيات وترك الجوهر فهي اشد خطورة على الإنسان من الجهل، قال تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) وشكراً.

مشاركة (7): بعض الجهلة يظن أن موسى –على نبينا وعليه السلام–هو لليهود أما محمد (صلى الله عليه وسلم) فهو لنا، وهذا خطأ فادح؛ لأن كل الأنبياء لنا لأن الله تعالى يقول:(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)(28 البقرة)

كذلك فإن موسى عليه السلام يحب هذه الأمة؛ فهو الذي توسل إلى سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ليلة لإسراء حتى يرجع إلى ربه فيسأله التخفيف عن أمة محمد لا عن أمته (البخاري حديث الإسراء الطويل3598).

وشيء ثالث: أن موسى عليه السلام نفسه يكره بني إسرائيل وكما مر معنا بقوله (فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) 25المائدة.

وأمر آخر قد لا يخطر على بال: وهو أننا نحبه أكثر من بني إسرائيل؛ لأن بني إسرائيل اتهموه وعيروه بأن معه مرض؛ لأنه لا يكشف عن عورته أمامهم، فهم لوقاحتهم يعتبرون أن الحياءمرض قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ

عِنْدَ اللَّـهِ وَجِيهًا)69 الأحزاب، وارجعوا إلى كتب التفسير، وكتب الحديث([11]) لتطالعوا ذلك بأم أعينكم.

مشاركة (8): قف وفكر: في إحدى المعارك وقفت إذاعات العدو الناطقة بالعربية تقول أيها الجندي قف وفكر، ومن بالمعركة لا يفكر؟ ثم تضيف قائلة (قادتك تركوك) ويلتفت الجندي حوله ليجد أن القائد ليس بجانبه؛ لأن القائد لا يمكن أن يكون بجوار كل جندي ! إذ يمكن أن يكون في القيادة العليا لأمور مهمة... ولكن إذاعة الفتنة تضيف قائلة:

(نحن نمد إليك يد المساعدة... ما عليك إلا أن ترفع سلاحك إلى الأعلى ... وترفع عليها خرقة بيضاء لكي نعرف انك لا تريد قتالنا)

وقصد هذه الإذاعة أن توقع البلبلة في الصفوف لعلها تجد جندياً انقطع عنه الدخان (السجائر) فيبدأ بالتلمس لما حوله ... ويبدأ يبحث عن خرقة بيضاء... ظناً منه أن طائرات العدو ومن فيها، ليس عندهم عمل أو شغل سوى أن يبحثوا عن سقط المتاع ليطعموهم ويسقوهم ويشعلوا لهم السجائر... والواقع أنهم إنما اشغلوهم بأنفسهم؛ لأن السجائر (الشهوات) قد استعبدتهم. (كما هو النهر الذي مر به بنو إسرائيل)

وحين يمسك العدو بأحدهم فإنه سينال من الضرب ما يعاف معه الطعام... ويأخذوا من أجسادهم قطع غيار لجنودهم (طبلات أذن ... قرنيات عيون...دم طازج...الخ) ثم يرموا بهم في سلات المهملات أو يرجعوه إلى بلده مع سجل يحمل كل اعترافاته وتصرفاته، ليكون له بعد ذلك الخزي والعار...ناهيك عما أعده الله عز وجل له في دار القرار.

مشاركة(9) عرفنا مما تقدم أن الذي يثور هو الذي يشعر بالظلم، وليس هو المظلوم فهاهو فرعون يقتل ويقتل، ولكن آباء المذبوحين لم يكونوا ليثوروا.

مشاركة (10) تفضل مشكورا:

معنى قوله تعالى جعلكم ملوكا كونهم بالمن والسلوى لا يحتاجون للعمل ولا للطلب من أحد، وهو ما دل عليه قول النبي (صلى الله عليه وسلم) من أصبح آمنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها. (صحيح ابن حبان ج: 2 ص: 446عن أبي الدرداء رضي الله عنه)

---

[11] ([11]) انظر القصة تفصيلاً في صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب مشي الحجر بثوب موسى عليه السلام حديث رقم(3512).

ولذلك فقد أعطي جيل الجبانة من الرزق الشيء الكثير لا إكرما لهم، ولكن لكي يخرج من أصلابهم من يعيد الحقوق إلى أهلها، وأولها الهيبة لله والاحترام لأنبياء الله، ثم الجهاد في سبيل الله.

ففي تفسير ابن كثير ج: 1 ص: 98"وقال السدي لما دخل بنو إسرائيل التيه قالوا لموسى عليه السلام كيف لنا بما ههنا أين الطعام فأنزل الله عليهم المن فكان ينزل على شجر الزنجبيل والسلوى وهو طائر يشبه السماني أكبر منه فكان يأتي أحدهم فينظر إلى الطير فان كان سمينا ذبحه وإلا أرسله فإذا سمن أتاه فقالوا هذا الطعام فأين الشراب فأمر موسى فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا فشرب كل سبط من عين فقالوا هذا الشراب فأين الظل فظل عليهم الغمام فقالوا هذا الظل فأين اللباس فكانت ثيابهم تطول معهم كما تطول الصبيان ولا يتخرق لهم ثوب فذلك قوله تعالى وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى".

شكرا للأخ الكريم: في توضيح معنى الآية كما ذكر ذلك أيضاً القرطبي في تفسيره ج: 6 ص: 124. والحكمة من ذلك والله أعلم: أن يعلموا بل ويحسوا ويلمسوا كل يوم ولمدة أربعين سنة أنه لا رازق لهم في هذه الصحراء إلا الله تعالى: وحين عرفوا ذلك حق المعرفة وعين اليقين طالبوا بالجهاد لأنه لا محيي إلا الله ولا مميت إلا

الله